ترجمة المخطوطات العربية

زهيرة كبير

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر

ملخص:

اعتنى المسلمون الأوائل بالتراث العربي المخطوط عناية كبيرة، لكونها السبيل الوحيد للحفاظ على ما أنتجه العقل العربي الإسلامي من مصنفات ورسائل في مختلف الموضوعات. إضافة إلى مضمونها العلمي والأدبي تركوا فيها تراثا فنيا عظيما، وقام الكثير من العلماء العرب والمستشرقين بترجمتها إلى لغات أخرى. غير أن المتتبع لحركة ترجمة وتحقيق المخطوطات يلحظ تراجعا كبيرا فيها، وهو ناتج عن تراجع مكانة الثقافة العربية الإسلامية في شتى المجالات. خاصة مع ضعف الإعلام العربي والغزو الثقافي للغرب بسبب ما يسمى بالعولمة.

الكلمات الدالة: ترجمة؛ مخطوط؛ نص؛ ثقافة؛ حضارة

Abstract:

The Early Muslims took care of the Arab heritage of the manuscript very carefully, because it is the only way to preserve the output of the Arab Islamic mind from the works and messages in various subjects. However, the follower of the movement of translation and the

criticism of manuscripts finds a decline in it, which is the result of the decline of the Arab Islamic culture in various fields, especially with the weakness of the Arab media and the cultural invasion of the Occident because of the globalization.

Keywords: translation- manuscript- dialogue- culture.

Résumé :

Les Premiers Musulmans ont pris soin de l'héritage arabe manuscrit, car c'est le seul moyen de préserver la production de l'esprit arabe et islamique des œuvres et des messages dans divers sujets. Cependant, le suiveur du mouvement de la traduction et lacritique des manuscrits y trouve un déclin, qui est le résultat du déclin de la culture arabo-islamique dans divers domaines, et surtout avec la faiblesse des médias arabes et l'invasion culturelle de l'Occident à cause de la mondialisation.

Mots-clés: traduction- manuscrit-dialogue-culture.

مقدمة:

تمت عمليات التفاعل بين الحضارات الإنسانية من خلال عدة سبل، من أهمها الترجمة التي كانت المعبر الرئيس لاقتباس اللاحق من السابق، وتفعيل التلاقح الحضاري بين الثقافات التي تعاصرت أو تتابعت. فعن طريق ترجمة النصوص (التي كانت مخطوطة، بالطبع، في الأزمنة القديمة) عرف العرب المسلمون الذخيرة الحضارية للأمم الأسبق تحضراً، وعلى وجه الخصوص الإغريقية التي انطوى تراثها على أصول كثيرة من مصر القديمة

وحضارات الشر.وتظل الترجمة أحد أهم العوامل التي أَثْرت تاريخ الإنسانية وأَثَّرت فيه، سلباً وإيجاباً.

فعن طريق التراجمة استمرت اليهودية والمسيحية ، وانتقل التراث اليوناني إلى السريان ثم إلى العرب، ومن ثم إلى اللاتينية واللغات الأوروبية المعاصرة . ومع غياب الترجمة، انطمس تراث هائل دونته الأمم بعدة لغات اندثرت مع أهلها : المصرية القديمة ، الحبشية ، البهلوية ، الآرامية وغيرها من لغات الأقوام الذين غابوا في التاريخ قبل قرون خلت، أو بقوا في الزمان على هامش التحضر الإنساني.

أدّت الترجمة ولا زالت تؤدي أدوارا طلائعية في حماية التنوع والتعدد الثقافي وتدعيم فلسفة "المثاقفة" والتقارب والتعايش بين الشعوب والحضارات. فلقد كانت الترجمة دائما توفر الأرضية الصلبة للانطلاق والإقلاع الحضاري من خلال تأسيس الأرضية المعرفية وتحديد الحد الأدنى من المعارف التي لا يُقبل النزول تحتها إلى مستويات الجهل والاستهتار المعرفي. فالأمم لا تبدأ من فراغ، بل من الاستفادة من المترجمات التي ليست شيئا آخر غير تجارب السابقين ومعارفهم وخبراتهم محفوظة بين دفتي كتاب.

لقد كانت الترجمة دائما جسراً للتواصل بين الشعوب والحضارات على مر التاريخ تعزز التلاقي والتلاقح الحضاريين

وترعى التقارب الثقافي بين الشعوب وتدحض الصدام وتدعم الحوار والتبادل الثقافيين بين أمم الأرض وتسهل التواصل بين الأمم وتفتح النوافذ على الثقافات الأخرى للشعوب الأخرى ما دامت معرفة الآخر تقود تدريجيا إلى معرفة الذات عن طريق "المقارنة" و"التواصل"، كما كانت تغني اللغات وتجعلها "حية" على الدوام، وتوفر الأرضية للبحث والإبداع ليقف عليها أهل البحث العلمي والإبداع قبل الشروع في أبحاثهم أو بناء نظرياتهم أو نشر إبداعاته.

ولقد ساهم التقارب الثقافي، وشيوع تكنولوجيا القرب، وديناميةالسياحة ومتطلبات العمل بالخارج، وقهر العزلة الفردية والجماعية بالإضافة إلى التعرف على إنتاجات الآخر والاستفادة منها معرفيا أو الاستمتاع بها فنيا في تنمية الوعي بقيمة الترجمة وبدورها وفعاليتها. غير أن المتتبع لحركة ترجمة وتحقيق المخطوطات يلحظ تراجعا كبيرا فيها، وهو ناتج عن تراجع مكانة الثقافة العربية الإسلامية في شتى المجالات، خاصة مع ضعف الإعلام العربي والغزو الثقافي للغرب بسبب ما يسمى بالعولمة. فما هي السبل الفعالة للنهوض بترجمة المخطوطات وتسويقها إعلاميا في ضوء التحديات الراهنة لاستعادة دورها الفاعل في التواصل مع الآخر؟

تعريف المخطوط:

المخطوطات هي مؤلفات العلماء ومصنفاتهم، وهي لفظة محدثة بعد حدوث الطباعة، لهذا لا تجد ذكرًا لهذه الكلمة (المخطوط) أو (المخطوطات) في كلام المتقدمين، وإنما حدثت هذه اللفظة بعد دخول الطباعة، فأصبحت الكتب قسمين: مخطوطات، ومطبوعات. فما كان منها مكتوبًا بخط اليد سُمي مخطوطًا، وما طُبع منها سُمي مطبوعًا، تمييزًا له عن الأول.[1]

مكانة المخطوطات:

تتجلى أهمية المخطوطات وتظهر مكانتها من كونها جزءاً من التراث الإسلامي العربي العريق؛ الذي قامت عليه الحضارة العربية الإسلامية، ودراستها تدفع إلى التعرف على أسباب النهوض ومعرفة الطريق الذي سار عليه الأقدمون في مسيرة بنائهم الحضاري، عله يكون نوراً يُتهدى به في ظلمات هذا الزمان.وبمعرفتنا وإدراكنا للقيمة الحقيقية لتراثنا المخطوط يمكن لنا أن نوصل للآخر الصورة الحقيقية للحضارة العربية الإسلامية، وذلك بتحقيق المخطوطات وترجمتها إلى لغات العالم، للاستفادة منها. ولقد تجلت عناية القيمين على الاهتمام بالمخطوطات بمظاهر متعددة:

- فهرسة مكتبات العالم للمخطوطات في مجلدات خاصة.

- اهتمام مكتبات العالم بجمع المخطوطات الأصلية، أو صوراً عنها.

- اهتمام الجامعات عموماً بإحياء التراث، وإنشاء معاهد متخصصة لذلك (معهد إحياء التراث، بجامعة حلب) نموذجاً.

- اعتماد الجامعات منح درجات علمية (ماجستير، دكتوراه) لتحقيق المخطوطات.

تعريف التحقيق:

لغة: الوصول إلى حقيقة الشيء ومعرفته على وجه اليقين.

عرفاً: نقل المخطوط إلى حروف الطباعة الآلية؛ ولو لم تتوفر في ذلك الشروط العلمية الاصطلاحية للتحقيق.

اصطلاحاً: جهد في المخطوط للوصول إلى النص المماثل لما تركه المؤلف؛ بحسب الاجتهاد لتيسير الإفادة منه.

ويتبين من خلال التعريف السابق: أن التحقيق العلمي يُبنى على النقاط الآتية:

أ. تحرير النص: ويتم بما يلي

-ضبط ما يحتاج إلى ضبط بالحروف والشكل بالحركات.

- وضع علامات الترقيم؛ لتيسير فهم المقصود.

- إثبات الفروق بين النسخ عند وجودها.

ب - **خدمة النص**، وتتم عن طريق شرح الغامض ببيان المصطلحات العلمية والفنية، والربط بين أفكار الكتاب، وكذلك إعادة الضمائر إلى الإظهار عند الالتباس، مع شرح بعض الأفكار والتعليق عليها عند الحاجة.

ج - **تدقيق النصوص**، ويشمل: عزو الآيات، وتخريج الأحاديث، وتوثيق النصوص المنقولة من الكتب الأخرى، وكذلك المسائل، ولو لم تُكتب بلفظها.

د - **التقديم للنص المحقق**، ويشمل ذكر: تاريخ المؤلف (ترجمة عنه) ونسبة الكتاب إلى المؤلف، وتوثيق العنوان، والتعريف بمصادر الكتاب، وقيمته العلمية، مع التعرف على الذين تأثروا به عبر العصور اللاحقة.

هـ - **الفهرسة الشاملة**، المعينة على الوصول إلى المعلومة بأيسر السبل؛ كفهرسة الآيات، والأحاديث، والأعلام، والبلدان، والأشعار، والكتب، والألفاظ الفقهية (المصطلحات) والقواعد الفقهية والأصولية.

ويصور الأستاذ عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان في كتابه "تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الامثل" واقع تحقيق المخطوطات العربية كما يلي:

"كثيرا مما خرج في عصرنا من التراث على أنه محقق يحتاج إلى وقفة تقويم وتصحيح وإعادة نظر، لما يعتور جهود المحققين له من قصور في الالتزام بالنهج الأمثل للتحقيق، ويتجلى من خلال ذلك الاختلاف الشديد والظاهر في أساليب التحقيق ونهجه، فمنهم من يلتزم بالقراءة الصحيحة للكتاب مع شيء من التعليقات التي تدعو إليها الضرورة توضيحا وتوثيقا لنص الكتاب، وتقريبا له من القراء والمستفيدين، ومنهم من يهمل إهمالا واضحا في القراءة الصحيحة، ويثقل الحواشي بفروق النسخ والتعليقات المستفيضة بداع وبدون داع، مما يؤدي إلى تضخم حجم الكتاب بما لا تدعو الحاجة إليه من جهة، وإلى تفشي الأخطاء والتصحيفات من جهة أخرى، ومنهم من يقتصر على ذكر فروق النسخ مع ما يعتريها من الأخطاء، ومنهم من يتصرف في صلب الكتاب ونصه زيادة ونقصا وتصحيحا دون الأخذ في الحسبان بقيمة النسخة وأهميتها، وكونها نسخة المؤلف، أو الانطلاق في ذلك من أساس علمي صحيح، ومنهم من يقصر التصرف في ذلك على هوامش التحقيق، ومنهم من يحقق الكتاب على نسخة واحدة، مع وجود نسخ أخرى، أو يستوفي النسخ اللازمة أو يقصر في ذلك، فلا يتحرى اختيار النسخ النفيسة والقيمة،بل يكتفي بما هو في متناول يده من نسخ سقيمة وحديثة، مع وجود النسخ العالية، ومنهم من يعنى

بالفهارس المتنوعة بينما يقصر فيها آخرون تقصيرا واضحا إن لم تهمل إهمالا تاما. ولعل هذا الواقع يبين لنا مدى الحاجة إلى إحياء هذا التراث محققا على أسس علمية قويمة، تستهدف إخراجه في صورة صحيحة مبرأة من الخطأ والتصحيف مع ما يتطلبه ذلك من خدمة النص بالتعليقات والفهارس اللازمة" [2].ونفهم من هذا القول أنه لا يراعى في هذا الميدان شروطه فنجد الأعمال الفردية والمحققة على عجل والفوضوية.

شروط المحقق:

مَنْ أراد أنْ يُحقق مخطوطاً ما لا بُدّ أنْ يَتّصِف بأوصافٍ معينة، وأنْ تتحقق فيه عدة شروط، وهي:

- أنْ يكون عارفاً باللغة العربية، بنحوها وصرفها وبلاغتها وإملائها وأساليبها معرفة وافية؛ ليستطيع قراءة النص وفهمه فهماً صحيحاً.

- أنْ يكون ذا ثقافة عامة في كل فن.

- أنْ يكون على دراية كافية بعلم المكتبات، مخطوطها ومطبوعها، يعرف مصادر كل نوع وفهارسه وكيفية معرفة حال أيِّ كتابٍ مطبوعاً أم مخطوطاً.

- أنْ يكون عارفاً بقواعد العمل بتحقيق المخطوطات وأصول نشر الكتب.

- أنْ يَتَّصِف المحقق بالأمانة والصبر والحيادية والتواضع والالتزام والاستفادة من ذوي الخبرة، والفطنة، وأنْ يمتاز بدقّة الملاحظة وحسن التنظيم والترتيب.

تعريف الترجمة:

لغة:أوردت المعاجم في مادة (ترجم) أن الترجمة تعني التفسير والبيان، ويقال: "ترجمت له الأمر أي أوضحته"، لذا فالوضوح يعد من الشروط الأساسية للترجمة الجيدة.[سم]

اصطلاحا:

وأما في الاصطلاح فالترجمة هي التعبير بلغة ثانية عن المعاني التي تم التعبير عنها بلغة أولى، أي نقل المعاني من لغة الانطلاق (اللغة المصدر أو الأصل) إلى لغة الوصول (اللغة الهدف) بانتقاء ألفاظ يفترض أن تؤدي معانيها وتغطي مفاهيمها.

يمكن في الواقع تقسيم الترجمة إلى قسمين رئيسين، الترجمة التحريرية والترجمة الشفهية. وتعرف الترجمة الشفهية بعدة أنواع هي الترجمة الفورية، والترجمة التتبعية، والترجمة الثنائية.[شم]

أما الترجمة التحريرية فيقصد بها ترجمة النصوص المكتوبة بأنواعها ، وتتنوع الصعوبات فيها بتنوع النصوص المترجمة فهي تنقسم أيضا إلى قسمين رئيسين: الترجمة الأدبية والترجمة

العلمية أو المتخصصة. وتعرف الترجمة التحريرية بأنواع كثيرة أهمها الترجمة الحرفية، والترجمة الحرة أو بتصرف، والترجمة التفسيرية، والترجمة الدلالية، والترجمة التواصلية. فالترجمة في نظر الكثيرين فن وعلم وتطبيق. وهي موهبة وممارسة وحرفة وبحث. إن الترجمة فن وحرفة وهذا ما تؤكده المقالات والكتب العديدة التي تصدر باللغات العربية والأجنبية، والتي تحمل عنوان "فن الترجمة" أو "حرفة الترجمة". و قد عدها بعض الكتاب فنا وحرفة في آن واحد [8]. والترجمة على حد قول الدكتور محمد عناني "فن تطبيقي" أي حرفة لا تتأتى إلا بالتدريب والمران والممارسة " استنادا إلى موهبة" وربما كانت لها جوانب جمالية وإبداعية لأن الإبداع هو أهم عنصر في الفن.

سارت حركة الترجمة بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية في كلا الاتجاهين، فتارة كانت من الحضارات الغربية القديمة أهمها الإغريقيةوالرومانية، وتارة أخرى كانت من الموروث الحضاري الإسلامي إلى الحضارة الأوربية. وقد لعبت الترجمة العربية للموروث اليوناني دورا وسيطا في نقل العلوم والمعارف إلى الحضارة الأوربية الحديثة. وتم تلاقي الفكر العربي والعقل الأوربي في منطقتين: الأولى مدينة طليطلة بالأندلس، والثانية بصقلية في جنوب إيطاليا.

وكان أول ما اهتم به المترجمون هو العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية، لأن أوربا كانت قد أفرغت من العلم اليوناني. فترجمت مؤلفات الفارابي وابن سينا والغزالي وكتب الخوارزمي التي بفضلها انتقل الحساب الهندي إلى أوربا والنظام العشري في الحساب والصّفر.

ولقد أعطى العرب منذ العصور الإسلامية الأولى المخطوطات والكتب والمكتبات عناية كبيرة وبخاصة منها في العصر العباسي، حيث ازدهرت حركة الترجمة والتأليف، وأقبل الناس على النسخ وشراء الكتب واقتنائها والعناية بها، وقد حفلت المؤلفات العربية بكثير من المنثور والمنظوم الذي يؤكد هذا الحب والولع، كما أقيمت المكتبات العامة في جميع أرجاء الدولة الإسلامية آنذاك، وكذلك المكتبات المدرسية والمتخصصة التي حفلت بملايين الكتب والمخطوطات. وقد عبر المؤرخ وول دبورانت عن روح ذلك العصر بقوله: "لم يبلغ الشغف باقتناء الكتب والمخطوطات في بلد آخر من بلاد العالم ما بلغه في بلاد الإسلام في هذه القرون، حين وصل إلى ذروة حياته الثقافية، وأن عدد العلماء في آلاف المساجد المنتشرة في البلاد الإسلامية من قرطبة إلى سمرقند لم يكن يقل عن عدد ما فيها من الأعمدة".[□] ولم يكن ذلك غريباً، فقد حض الإسلام على طلب العلم، واستخدام العقل في أمور الحياة.

اعتنى المسلمون الأوائل بالتراث العربي المخطوط عناية فائقة لكونها السبيل الوحيد للحفاظ على ما أنتجه العقل العربي الإسلامي من مصنفات ورسائل في مختلف الموضوعات، من علوم القرآن وأحاديث الرسول والسير والتراجم والأدب والعلوم والمصنفات الأخرى فجعلوا منها تحفا فنيه ثمينة في غاية الروعة والجمال. إضافة إلى مضمونها العلمي والأدبي ليتركوا فيها تراثا فنيا عظيما، فقام الكثير من العلماء العرب والمستشرقين بترجمتها إلى لغات أخرى لإيمانهم القوي بأهمية ترجمتها إلى لغاتهم. ويكفي أن نشير إلى حجم هذا التراث العربي الإسلامي من المخططات من خلال ما تحتفظ به المتاحف ومكتبات العالم العربي والإسلامي ودول العالم الأخرى وكان لهذا الأثر الكبير في تحسين صورة العرب والمسلمين في نظر الآخر. إذ يوجد بمدينة اسطنبول وحدها ما يقارب على مائة وأربع عشرون ألف مخطوط من المخطوطات النادرة والنفيسة التي جمعت بمختلف السبل ولم تخضع معظم هذه المخطوطات إلى الدراسة والتحقيق وهناك مكتبات في مصر والمغرب وتونس والهند وإيران إضافة إلى المكتبات العديدة الموجودة في اغلب محافظات العراق تحتوي على مخطوطات ومصاحف مزوقة في غاية الروعة وما تحتفظ به مكتبات العاصمة بغداد التي تعتبر المركز الرئيسي للمخطوطات وقد قيل أن العراق بلد يعوم على

بحر من المخطوطات بمختلف المجالات،إذ توجد في المكتبات الأجنبية مجاميع كبيرة من المخطوطات العربية القديمة، متعددة المضامين.□□

وقد تم احتواؤها بعد آن قطعت مسافات طويلة ومعقدة، حتى وصلت إلى محل إقامتها في بلاد المهجر، لتستقر في قصور الملوك أو على مناضد العلماء أو بين ألواح الرهبان في الكنائس القديمة.وكل هؤلاء اعتبروها في مرحلة مهمة جزءا من مجدهم الشخصي، يتهافت عليها العالم، للامساك بخيوط العلم والمعرفة، التي نسختها أدمغة العرب في تلك الحقبة الزمنية من تاريخ البشرية.□□

إن جزءا مهما من رصيد المخطوطات لم يخضع بعد للتحقيق أو الدراسة ولا الترجمة للأسف، ويضم مخطوطات عربية وإسلامية نادرة.وقد انتقلت دراسات كثيرة من الدراسات التي تضمنتها هذه المخطوطات إلى العلوم الأوروبية، من خلال ترجمتها إلى اللاتينية، وشملت مختلف المجالات التي كتبت في فترة نهوض الثقافة والعلوم الإسلامية، وجلها قد كتب باللغة العربية التي كانت اللغة المنافسة للّاتينية. إلا أنه في الكثير من الترجمات اللاتينية للمخطوطات العربية غاب اسم المترجم أو مكان الترجمة.

يعد عصر النهضة أهم عصور الانفتاح على الغرب، مما كان له الأثر البالغ في تحول الثقافة العربية وعلاقتها بالغرب، فتعدد الرؤى والمقاربات المتعلقة به، خلق تنوعا ثقافيا بعد الانفتاح على الغرب، فالنهضة هي الطاقة والقوة والوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره، في حين اتسم عصر النهضة في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بأنه عصر تقدم فكري واجتماعي وأدبي.

وقد شكل عصر النهضة الحلقة الأقوى للاتصال بين الشرق والغرب، فنشطت الصحف، وانتشرت الطباعة، والترجمة، وأرسل المبعوثون إلى الغرب، وزاد اهتمام المستشرقين بالشرق، كل ذلك أسهم في تفعيل الصراع الحضاري، الذي انعكس في الأدب والسياسة والثقافة والفكر، وقد شكل المستشرقون العلامة الفارقة في هذا الاتصال؛ لأنهم سبقوا العرب في نقل الثقافة العربية إلى الغرب بترجمة القصص وتأليف الكتب، وإقامة الدراسات المختلفة حول الثقافة العربية، فالترجمة من العربية بدأت في وقت مبكر في القرن الحادي عشر، وخلال ثلاثة قرون ترجم أكثر من ثلاثمائة كتاب من مختلف العلوم العربية[1]، وقد كان القرآن الكريم، وقصص حي بن يقظان، وألف ليلة وليلة، والمقامات باكورة الأعمال التي اهتم بها المستشرقون؛ لأنها تعكس الحياة العربية، فترجموها

وأضافوا عليها مفاهيمهم عن الشرق والحياة العربية مما يرضي مخيلة الإنسان الأوروبي. فأنطوان جالان وضع مقدمة لترجمة ألف ليلة وليلة، فنقل إلى القارئ الغربي فيها الشرق بعاداته وتقاليده وأديانه وشعوبه. تر□

تفعيل الترجمة في الحوار مع الآخر:

لا تزال عملية الترجمة تجرى بين الشرق والغرب، ولكن الفجوة بين بينهما تزداد اتساعا لمصلحة أهل الشمال. وبينما يحتاج العالم العربي إلى الترجمة، وغيرها، لسد الفجوة بينه وبين العالم المتقدم، تحتاج أوروبا والغرب عموما إلى الترجمة لأسباب أخرى. وهنا يجدر بنا أن نلاحظ أن الهوية الثقافية لكل من الجانبين تبقى بعيدة عن المخاطر الوهمية التي قد يراها البعض من منظور الحفاظ على الهوية الثقافية. ذلك أن الهوية الثقافية لأية جماعة بشرية تتكون عبر أجيال عديدة، وعلى امتداد فترة زمنية طويلة من ناحية، وتكون العناصر التراثية في هذه الهوية الثقافية أقوى من غيرها وأشد رسوخا من العناصر الجديدة؛ ومنها تلك العناصر الناجمة عن الترجمة بطبيعة الحال.

وتتأتى أهمية الترجمة في تيسير حوار الثقافات والأديان بين الأنا والآخر ولا تقتصر على تأثيرها الإيجابي في التناول الإعلامي فقط، بل تمتد إلى أبعاد أخرى نذكر منها هنا الترجمة للمخطوط

فيما بين اللغات المختلفة، والمقصود هنا تحديدا ليس ترجمة المخطوط ذات التوجهات الأيديولوجية أو السياسية، ولكن الأهم هو ترجمة المخطوطات الأدبية والفنية والعلمية والفكرية و التاريخية بالإضافة. لكن يجب الوعي بأن عملية الترجمة تلك يجب أن تتسم بالانتظام والدورية من جهة وبالاستمرارية والاستدامة من جهة أخرى, بحيث لا تقتصر على عمليات ترجمة بمبادرات فردية وعلى فترات متباعدة، ولا أن تتسم بالعشوائية وعدم الانتظام، وعلى أن تشمل عملية الترجمة تلك عددا معقولا من المخطوطات والمؤلفات سنويا في المجالات التي أشرنا إليها، وأن تكون حركة الترجمة ذات اتجاهين وليست مقصورة على اتجاه دون آخر.

اقتراحات للنهوض بالترجمة عربياً:

- الاهتمام بالترجمة وقواعدها وتنشيط حركتها في الدول العربية مع وضع خطة استراتيجية قومية للنهوض بالترجمة والتعريب

- رصد واقع الترجمة (هواية، احترافية، تطوّع، مؤسسية...)

- ضرورة التفكير في الرقي بالترجمة إلى مستوى الاحترافية والجودة.

- تنمية الترجمة بأشكالها الثلاثة: الترجمات الصادرة والترجمات الواردة والترجمات المحلية.

- إنشاء مركز عربي موحد لترجمة المخطوطات حتى لا تتكرر الترجمات للمؤلف الواحد ولتفادي الترجمة الفوضوية.

- التعاون الدائم والمتكامل بين المترجم ومحقق المخطوطات.

استغلال وسائل الاتصال الجماهيري وتكنولوجيا المعلومات:

استخدام تكنولوجيا المعلومات في رقمنة المخطوطات العربية يبدأ باستخدام النظم الآلية في معالجة المخطوطات، ثم الاستفادة من التجارب العربية في مجال استخدام نظم المخطوطات ومحاولة رقمنة المخطوطات العربية و إيجاد الخصائص والمواصفات الفنية اللازمة لعملية الرقمنة ومتطلباتها المادية والبشرية والمالية، مع عرض أهم النتائج المتوصل إليها.

لقد أصبح من الممكن الاستفادة من التقنيات الحديثة في تسهيل عمليات تبادل المخطوطات أو الاطلاع عليها أو الحصول على نسخ عنها، وذلك بفضل هذه التقنيات المتطوّرة، والتي لم يعد مقبولاً تجنّب استخدامها أو تأخير هذا الاستخدام.

- النظم الآلية:

هي جمع ومعالجة وتشغيل البيانات مستخدمة في ذلك الحاسوب بمعداته الآلية والبرمجية، لذا فالنظام الآلي للمعلومات هو النظام الذي يعالج البيانات ويحولها إلى معلومات ويزود بها المستفيدين، وتستخدم مخرجات هذا النظام وهي المعلومات لإتخاذ القرارات ومختلف عمليات التنظيم والتحكم داخل المؤسسة، وعليه فإن النظام الآلي للمعلومات يتكون من الإنسان والحاسوب والبيانات والبرمجيات المستعملة في معالجة هذه المعلومات لتحقيق الهدف الأساسي الذي وضع من أجله داخل المؤسسة.

- الرقمنة:

وهي شكل من أشكال التوثيق الإلكتروني بحيث تتم عملية الرقمنة بنقل الوثيقة على وسيط إلكتروني وتتخذ شكلين أساسين، الرقمنة بشكل صور والرقمنة بشكل نص أين يمكن إدخال بعض التحويلات والتعديلات عليها وذلك بعد معالجة النص بمساعدة برنامج خاص بالتعرف على الحروف.

ومن ذلك مثلاً نشر فهارس المخطوطات على أقراص مضغوطة CD مبرمجة، بحيث يسهل البحث على عنوان المخطوطة واسم المؤلف واسم الناسخ وتاريخ النسخ وعدد النُّسخ

الموجودة، وغير ذلك من المعلومات الأولية التي يحتاجها الباحث أو المحقق.

إن عملية الرقمنة مهمة جدا للمكتبات في وقتنا الحاضر، حيث تسهل عمليات كثيرة تقوم بها المكتبات في مجال حفظ الوثائق بشكل عام والمخطوطات، والكتب النادرة بشكل خاص، و من ثم تساعد في عملية إيصالها إلى أكبر عدد ممكن من المستفيدين و تتركز أهمية الرقمنة بالنسبة للمخطوطات في المجالات التالية:

- حماية المخطوطات العربية بشكل خاص، والتراث العربي بشكل عام من الزوال.

- حماية المخطوطات من التلف والضياع، حيث تمكن تكنولوجيا الرقمنة من نقل جميع المخطوطات على وسيط إلكتروني، يساعد المستفيد على الإطلاع على المخطوط دون الحاجة للرجوع إلى المخطوط الأصلي إلا في حالات خاصة، و هذا يقلل من إمكانية تعرض تلك المخطوطات للتلف والضياع، و خاصة المخطوطات القديمة المكتوبة على ورق البردي أو الرق.

- إن وضع المخطوطات المرقمنة على شبكة الإنترنت، يساعد الباحثين للوصول إليها عن بعد بدون جهد و بأقل تكلفة.

- إن الوسائل التكنولوجية الحديثة في مجال تكنولوجيا المعلومات والتوثيق الإلكتروني، يسهل كثيرا إستخدام نسخة

إلكترونية من المخطوطات بدلا من النسخ الأصلية، وخاصة أن طبيعة المخطوط نفسه يتطلب التعامل معه بالكثير من الحذر خوفا عليه من التلف.

إضافة إلى ما سبق فإن تصوير المخطوطات على أقراص مدمجة، بهدف حفظ صُور عنها أو إرسال صورة لمخطوطة لدراستها والاستفادة منها، أو لتحقيقها بغية نشرها، أصبحت عملية سهلة وأكثر فائدة من تصويرها على ميكروفيش أو ميكروفيلم، خاصة وأن قراءتها أو الحصول عل صورة منها مطابقة للأصل بكل الدقائق والصفات والمميزات التي تتميّز، بها أصبحت أكثر سهولة وإمكاناً من أي وقت مضى. ولا يفوتنا القول إننا يمكن أن نحصل على صورة لهذه المخطوطة أو تلك بالألوان، أي صورة طبق الأصل عن المخطوطة، حيث كثيراً ما يلجأ المؤلف أو الناسخ إلى استعمال المداد الأحمر مثلاً لأسماء الفصول أو الأبواب أو الرموز أو الآيات أو المتون أو ما إلى ذلك، أو يضمّن كتابه بعض الرسوم أو الصُّوَر الضرورية الموضحة لكلامه بالألوان أيضاً، ولا ننسى ما قد يفعله بعض النُّسّاخ من تزيين أو ما شابه ذلك، وكل هذا لا يستفيد منه الباحث على الوجه الأكمل، نظراً لصعوبة الوقوف عليه إذا كان التصوير قد اتبع الأسلوب القديم، أي التصوير بواسطة

الميكروفيلم. وقد قمت بتجربة ناجحة أضعها بتصرّف المهتمّين بهذا الأمر، مع أنها تجربة متواضعة لكنها مفيدة في الوقت ذاته.[14]

إن تحقيق هذا الأمر لا يحتاج لأكثر من آلة تصوير سكانر تربط بجهاز الكومبيوتر وتنقل صورة المخطوط إلى القرص المدمج. وباعتبار أن جهاز الكومبيوتر أصبح متوافراً لدى معظم الباحثين والمحققين، فإن استخدام الأقراص المدمجة يصبح أكثر سهولة عندهم.

أما العولمة، رغم ما فيها من سلبيات ، يُصاحبُها كثيرٌ من الجوانب الإيجابية التي ينبغي الاستفادةُ منها في خدمة الترجمة العربية. وفي مقدمة ذلك تكنولوجية الإعلام الآلي والاتصالات، وكل المجالات الإعلامية الجديدة والمتطوّرة يمكن للعربية أن تنسابَ من خلالها وتنتشر وتتوسّع ليتحسّن وضعُها ومجالاتُ استخدامها.

لكن هناك خطوة مهمة أيضاً تسبق عملية التعرّف على المقتنيات، ألا وهي التعرّف على أماكن وجودها، بمعنى أن نتعرّف أوّلاً على المؤسسات والأفراد الذين يملكون هذه المخطوطات، ومن ثَمَّ تبدأ الخطوة الثانية وهي التعرّف على المقتنيات.

ولا بدَّ هنا من إشاعة عملية فهرست المخطوطات، والقيام بها بأسلوب علميّ موحَّد متفق عليه، وقد يحتاج الأمر إلى عقد ندوة خاصة لدراسة شؤون الفهرسة وإشكالياتها وتوحيد أساليبها،

مما يساعد الباحثين في الحصول على المعلومات المطلوبة بشكل سريع وجيّد، فتوحيد الرؤية للعمل خطوة هامة في توحيد العمل ذاته، وإحياء روح التعاون بين الباحثين من جهة وبين المؤسسات الثقافية والفكرية التي تُعنى بالتراث من جهة ثانية.

وبالنسبة لتوزيع الفهارس ونشرها؛ فهي ليست كتباً للنشر والتوزيع العام، لذا تلجأ بعض المؤسسات أو الجامعات أو المراكز الثقافية إلى طبع عدد قليل من فهارسها لا يلبّي حاجة الباحثين والمحققين، كما تلجأ بعض المؤسسات إلى توزيع فهارسها على عدد قليل من الجامعات أو المراكز الثقافية التي تربطها بها اتفاقات تبادل ثقافي، وهذا عمل جيد ولكنه غير كافٍ، لذا نتمنّى على هذه المؤسسات التي تطبع فهارس مخطوطاتها أن تنشرها على نطاق واسع وتُدخلها ضمن منشوراتها وتسهّل توزيعها على المهتمين بالتراث وبدراسته وتحقيقه.[15]

ومن الأفضل لو تقوم هذه المؤسسات بالاستفادة من التقنيات الحديثة، فتطبع فهارسها على أقراص مُدمجة، فيسهل تناولها والتعامل معها والبحث فيها، وكذلك نسخها وتوزيعها دون مشقّة أو تكلفة كبيرة. وكم يكون مفيداً لو تتعاون المؤسسات المقتدرة مادياً مع المؤسسات غير المقتدرة، في دعم مشاريع الفهرسة لديها، فيعمّ الخير الجميع.

وبخصوص المخطوطات العلمية، يجبأن يتم تعاون بنّاء بين مختصيَن، أحدهما بالتحقيق بوصفه علما قائما بذاته من علوم التاريخ، والآخر بالموضوع العلمي الذي يتناوله المخطوط نفسه، فيتولى الأول تحقيق النص العلمي من جوانبه الفنية، فيستقصى نُسَخَه المتوفرة، ويحدد العلاقات بينها وصولاً إلى أقدمها وأكثرها إتقانا، ويقابل بين هذه النسخة وغيرها بدقة، فيثبت أوجه الاختلاف في الهوامش، وهو عمل يقوم به المحقق لأي كتاب تراثي، مهما كان موضوعه ومجاله. ويتولى الآخر تقدير أهمية هذا النص، مستخرجاً مكامن الجِدّة فيه، ومُعلقا على الجوانب العلمية البحتة بما يقرِّبُها إلى أذهان القرّاء المعاصرين، فيضفي على المخطوط المُحَقق قيمته العلمية، فضلاً عن قيمته التراثية. وتيسيراً لمثل هذه المهمة، صار من واجب المراكز العلمية التراثية في الجامعات ان تتولى تحقيق هذه التعاون بما تملكه من علاقات مع أوساط علمية مختلفة، وما توفره من أجواء تعاون بناء بين مختلف الاختصاصات العلمية والأدبية.

كما يسعى محقق المخطوط العلمي إلى كل ما من شأنه خدمة النص بما يوضحه للقارئ بالشرح والتوضيح، فإذا ما وَجَد أن المادة العلمية تستوجب مزيداً من الجُهد لتوضيح أمر ما، وأن هوامش المتن تضيق بمثل تلك الجهود، لجأ إلى اصطناع الملاحق

الضرورية لتحقيق هدفه، وتختلف أغراض هذه الملاحق بحسب طبيعة المخطوط نفسه، وجِدَّة الموضوعات التي يتناولها.

خاتمة:

الترجمة هي أهم وسيلة من وسائل توسيع آفاق المعرفة و تسريع وتيرة التفاعل الحضاري بين الأمم حتى تتجاوز الأطر اللغوية الضيقة لمعرفة العالم. إنها الوسيلة الأرفع لحوار الحضارات منذ القديم و قد ازدادت أهميتها في الوقت الرهن. وهي ليست دليلا على الوهن الحضاري فالأمم الأكثر تقدما هي الأكثر اهتماما بالترجمة لأنها تدرك أن الترجمة وسيلة مشاركة في ثمار العقول البشرية كافة. كما أنها وسيلة تواصل بين الشعوب من خلال المساهمة في ترويج الفكر الإنساني عبر نقله إلى لغات غير لغته. وهي عامل إنقاذ للثقافة من الغرق والحرق والإتلاف والضياع والتهميش والإقصاء من خلال إيداعها بنوك المعرفة الإنسانية والتاريخ الثقافي.

وفي سبيل النهوض بترجمة المخطوطات ومنحها المكانة الحضارية التي يجب أن تلعبها في عصر الانفجار التكنولوجي، نحن ملزمون في جميع أقطار العالم العربي بتحديث البنيات التحتية لتكنولوجيا المعلومات، وتوسيع الاستثمارات فيها. فهذا من شأنه تحسين ظروف تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها إلى لغات

العالم. ولتحقيق هذه النتائج يجب ضمان التعاون الكامل والدائم بين محققي المخطوطات العلمية والأدبية والمترجمين على اختلاف تخصصاتهم.

الهوامش:

[1] يوسف زيدان، مدير مركز المخطوطات ومتحف المخطوطات بالاسكندرية. مؤتمر المخطوطات المترجمة، مكتبة الإسكندرية 29 مايو - 1 يونيو 2007.

[2] مُحَمّد سَعيد الرّيْحَاني. دور الترجمة في الإقلاع الحضاري، مدونة "زاوية الفكر". 2014/04/01.

[3] عبد العزيز بن فيصل الراجحي (رئيس قسم المخطوطات والنوادر)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض. المخطوطات: تعريفها وأهميتها، من حوار مع مجلة الدعوة. على موقع www.alukah.net. يوم 19/6/2010.

[4] عسيلان عبد الله بن عبد الرحيم، تحقيق المخطوطات بين الواقع و النهج الأمثل . الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1994م. ص 68.

[5] ينظر: تاج العروس والمعجم الوسيط. مادة "رجم".

[6] محمد الديداوي، الترجمة والتواصل دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب،ط1/2000م، ص71.

[7] محمد أحمد طجو. الترجمة: أنواعها ونظرياتها، جمعية المترجمين واللغويين المصريين على موقع: www.atida.com 2015/01/20.

[8] محمد عناني. فن الترجمة، مكتبة لبنان والشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان. الطبعة الثالثة، 1996م، ص 2.

[9] وول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة أحمد بدران، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر،1950 ج13، ص 171.

[10] زيغريدهونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبا. ط5 ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1981 ص 141.

[11] حافظي زهير. دور تكنولوجيا المعلومات في حفظ المخطوطات العربية. www.journal.cybrarians.org

[12] داود سلوم، ترجمات التراث القصصي العربي إلى اللغات الأوروبية، مجلة الاستشراق، ع4، بغداد: دار الشئون الثقافية العامة،1990، ص106.

[13] ضياء خضر، مقدمة في دراسة جهود من العربية إلى الفرنسية، مجلة الاستشراق، العدد الرابع، بغداد: دار الشئون الثقافية، 1990، ص 136.

[14] محمود حلاوي. دور المخطوطات في مشروع الإحياء الإسلامي. من المدونة: http://azarshab.com

[15] نفسه.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط. 2مج. المجلد الأول. القاهرة ط2. 1972.

- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، مط: دار الفكر (بيروت - 1993م).

- حافظي زهير. دور تكنولوجيا المعلومات في حفظ المخطوطات العربية من الموقع www.journal.cybrarians.org . اطلع عليه يوم 2016/10/20.

- داود سلوم، ترجمات التراث القصصي العربي إلى اللغات الأوروبية، مجلة الاستشراق، ع4، بغداد: دار الشئون الثقافية العامة،1990.

- زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبا. ط5 ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1981.

- ضياء خضر، مقدمة في دراسة جهود من العربية إلى الفرنسية، مجلة الاستشراق، العدد الرابع، بغداد: دار الشئون الثقافية، 1990.

- عبدالعزيز بن فيصل الراجحي (رئيس قسم المخطوطات والنوادر)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض. المخطوطات: تعريفها وأهميتها، من حوار مع مجلة الدعوة. على موقع www.alukah.net. يوم 19/6/2010.

- محمد أحمد طجو. الترجمة: أنواعها ونظرياتها، جمعية المترجمين واللغويين المصريين على موقع: www.atida.com اطلع عليه 2015/01/20.

- محمد الديداوي، الترجمة والتواصل دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1/2000م.

- محمد سَعيد الرّيْحَاني. دور الترجمة في الإقلاع الحضاري، مدونة "زاوية الفكر". 2014/04/01.

- محمد عناني. فن الترجمة، مكتبة لبنان والشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان. الطبعة الثالثة، 1996م، ص 2.

- محمود حلاوي. دور المخطوطات في مشروع الإحياء الإسلامي. من المدونة: http://azarshab.com اطلع عليه في 2015/10/11

- وول ديورانت. قصة الحضارة، ترجمة أحمد بدران، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر،1950 ج13.

- يوسف زيدان، مدير مركز المخطوطات ومتحف المخطوطات بالاسكندرية. مؤتمر المخطوطات المترجمة، مكتبة الإسكندرية 29 مايو - 1 يونيو 2007.